بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شهرية بعنوان:

لماذا يريدون إسقاط الحكم من الدين القيم؟

بقلم

محمد بن سعيد الأندلسي

الحمـد للـه رب العـالمين والصـلاة والسـلام على سـيدنا محمـد وعلـى آلـه وصحبه والتـابعين أمـا بعـد فـإن اللـه قـد فطـر الخلـق على التوحيـد وأخـذ على ذلـك الميثـاق وبعـث الرسـل بـذلك مبشـرين ومنـذرين لمـا وقـع التبـديل والتغيير واجتالـت الشـياطين بني آدم عـن فطـرتهم السـوية، قـال تعـالى: ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ ﴾[النساء١١٩] قـال ابْـن عَبَّـاس: «**خَلْـقَ اللَّـهِ: دِيـنَ اللَّـهِ** »[١]، وعـن مجاهـد: «**الفطـرة ديـن اللـه**»[٢]، قـال أبـو جعفـر:" يقـول: "ولآمـرن النصـيبَ المفـروض لي مـن عبـادك، بعبـادة غيـرك مـن الأوثـان والأنـداد حتى يَنْسُـكوا لـه، **ويحرّمِـوا ويحللـوا لـه، ويشـرعوا غيـرَ الـذي شـرعته لهـم، فيتبعـوني ويخالفونـك**"[٣]، فالتبـديل والتغييـر إنمـا هـو واقـع في عبـادة غيـر اللـه واتخـاذ الأنـداد وصـرف النسـك والعبـادة لهـا، وكـذلك هـو واقـع في التحليـل والتحـريم والتشـريع والحكـم والمتابعـة كمـا هـو منصـوص عليـه حـديث عِيَـاض بْـن حِمَـارٍ عَـنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّـهُ قَـالَ: إِنَّ اللـهَ عَـزَّ وَجَـلَّ قَـالَ: ﴿إِنِّي خَلَقْـتُ عِبَـادِيَ حُنَفَـاءَ كُلَّهُـمْ، وَإِنَّـهُ أَتَـتْهُمُ الشَّـيَاطِينُ فَاجْتَـالَتْهُمْ عَـنْ دِينِـهِمْ، **فَحَرَّمَـتْ عَلَـيْهِمْ مَـا أَحْلَلْـتُ لَهُـمْ، وَأَمَـرَتْهُمْ أَنْ يُشْـرِكُوا بِـي مَـا لَـمْ أُنَـزِّلْ عَلَـيْهِمْ بِـهِ سُـلْطَانًا**﴾[٤]، فسـمى النبـي ﷺ المفطـور عليـه دينـاً والانحـرافُ عنـه إلى التحليـل التحـريم مـا لـم يـأذن بـه اللـه هـو الشـرك الـذي لـم ينـزل اللـه بـه سـلطانا، وهـذا يـدل علـى أن المنحـرفين عـن الفطـرة ـ الـدين ـ يعـدلون إلى نُظُـم وأوضَـاع وقِـيَم وشَـرائِع مـا أنـزل اللـه بهـا مـن سُلطان.

وهـذا الانحـراف هـو أصـل شـرك العـالم ـ الـذي هـو في العبـادة والتشـريع والحكـم والاتبــاع ــ ويــدل علـى ذلــك قولــه تعــالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن

[١] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم ٥٩٧٥

[٢] رواه الطبري في تفسيره برقم ١٠٤٧٢

[٣] تفسير الطبري ٢١٤/٩

[٤] رواه مسلم برقم ٦٣

دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[النحل ٣٥]، فمقالة الذين أشركوا في الاحتجاج بالقدر على أمرين:

الأول : ﴿ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ ﴾ ، وهي عبادة غير الله.

والثاني: ﴿ وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ ﴾، وهي التشريع من دون الله والحكم بغير دين الله.

ثم أخبر الله تعالى في نفس السياق أنه أقام الحجة على الخلق في الأصلين وأرسل في كل أمة رسولا ينهى عن هذا الشرك في العبادة والحكم فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾.

هذا دين الله وهو الدين القيم والملة الحنيفية ويتركب من إفراد الله بالعبادة وإفراده بالحكم والتشريع والطاعة ... ويقابله الإسلام المعدَّل الذي يدعوا إليه الغرب الكافر عبر المؤسسات الدينية الطاغوتية في عموم البلدان، وهذا الدين يقوم على مبدأ العلمانية "الدين لله والوطن للجميع" وذلك في منح حرية التعبدات الشخصية كالصلاة والدعاء والنذر وغيرها لجميع المواطنين على مقتضى الديانة التي يدين بها الأفراد سواء شعائر الإسلام أو النصارى أو عباد القبور أو حتى عباد الشيطان... لذلك وجد أهل الشعائر مساحة واسعة لممارسة شعائرهم الدينية كالأذان والصلاة والحج وغيرها حتى في دول النصارى وهذا على مقتضى الديانة العلمانية التي تسود العالم اليوم ... ومحاربة عبادة القبور والأوثان وإن كان يصادم هذه الحرية فيبقى ضمن حدود الحرب الفكرية بين المداخلة والصوفية مع التمكين للصوفية في أكثر المراكز الدينية وتهميش المداخلة والتضييق عليهم حتى لا

يسمع صوتهم في النهي عن عبادة القبور ويسمع صوتهم في النهي عن الخروج عن الطواغيت وتعبيد الناس لهم ... وهذا في أغلب الدول العربية وتبقى للسعودية الخصوصية في ذلك، ويتم فيها الإطاحة بفكر محمد بن عبد الوهاب عبر السياسة الجديدة التي ينتهجها محمد بن سلمان وتسوقها الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بسحب مقرراته من المدارس والتضييق عليها في المساجد .

والذي يصادم الإسلام المعدَّل من كل جهة هو إفراد الله بالتشريع والحكم والطاعة فهذا الذي يصادم العلمانية والديمقراطية من كل وجه لأنه ينازعها في الحكم والتشريع والطاعة والاتباع ... ولا مجال في الحكم إلا لأحد المصدرين إما التلقي عن الله أو التلقي عن الخلق ... فتم إسقاط الحاكمية والطاعة والاتباع من الدين القيم فلا تجد لها ذكر في المناهج والمنابر ... وصار الدين محصور في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام فمن أتى بها فهو المسلم كما يعتقد عامة الناس في هذا الزمان ... أما التشريع والحكم والطاعة والاتباع فهو للبشر من دون الله ويسمونه المشرع في البرلمان وينتخبون عليه عبر الانتخابات التشريعية، وكذا الحاكم بهذه القوانين الوضعية والدين المبدل ينتخبون عليه بعد أن يعرض عليهم برنامج الحكم المبدل في الحملة الانتخابية ... وينشأ الجيل على هذا التحريف والتبديل وهو مقر أن الحكم والتشريع هو للشعب من دون الله تبارك وتعالى ... ومع هذا الواقع المرير والدين المبدل نشأت حركات ثورية ـ كالقاعدة وما تفرع عنها ـ تريد رد هذا الحق المغتصب لله تعالى عبر القتال والتمكين، وقامت ترفع شعار القتال لتحكيم شرع الله تعالى، ولا شك ولا ريب أنَّ من الغايات السامية للجهاد هو التمكين لدين الله في الأرض ... وإن كان لهذه الحركات والجماعات من الأخطاء العقدية في عدم التصور الصحيح لواقع الناس والحكم الصحيح على عموم الناس في هذا الزمان والتجهم الشديد في هذا الباب ولكن تصورها لمسالة الحاكمية تصور صحيح في الجملة ويدل عليه قتالها لإقامة الحكم لله تعالى وجعل رأس النزاع بينها وبين الطواغيت في قضية الحكم والتشريع ... فالقضية الأساسية التي قامت عليها

الحركات الجهادية هي قضية الحاكمية والقتال لإفراد الله عز وجل بالحكم والطاعة وتعبيد الناس لله من دون الطواغيت ... لذلك كان الخلاف الجوهري بين القاعدة وعلماء السلاطين هو في الحكم بما أنزل الله حيث جعل المداخلة الحكام الطواغيت مسلمين وأمروا الناس بطاعتهم ورخصوا لهم التحاكم لمحاكمهم وسفهوا القاعدة في قضية الحكم والحاكمية ورموها بالخارجية لخروجها على النظام العالمي القائم على الديمقراطية التي هي حاكمية الشعب ... لذلك نعتقد أن كل من يريد أن يهدم هذا الأصل الذي هو الحكم والتشريع والطاعة والاتباع وجعل الدين القيم يقوم بدونه والتوحيد يستقيم بغيره فهو يدعو إلى غير دين الأنبياء الذي فيه الحكم لله والعبودية لله كما قال تعالى ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ **إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ** وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٠] ، وينقض هذا الدين القيم الشرك في العبودية والشرك في الحكم والطاعة ، وقد نهى الله عزَّ وجلَّ عن الشرك في العبودية فقال: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[الكهف:١١٠] كما نهى عن الشرك في الحكم فقال:﴿ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ .

فالعبادة لا تقوم بكمالها وشمولها إذا كان الحكم لغير الله، فإفراد الله بالحكم والعبادة هو الدين القيم، ولا دين لله سوى هذا الدين القيم: الذي يتحقق فيه اختصاص الله بالحكم تحقيقاً لاختصاصه بالعبادة، فإذا كانت الحاكمية في الأرض لغير الله كان الأمر والنهي والحكم والتشريع لغير الله تعالى، وبالتالي ستكون الطاعة والعبودية لغير الله تعالى، إذْ يجري على الناس حكم الطاغوت ويدينون لدينه طائعين وينقادون لأمره خاضعين، فالناس على دين ملوكها منقادة، **وهذا الميزان الذي توزن به الدعوات في هذا الزمان وهو الدعوة إلى إفراد الله بالحكم والتحاكم والنهي عن الشرك في الحكم**

والتحاكم مع التصور الصحيح لحال الناس في هذا الزمان وأنهم في دين الطواغيت وملوك الأرض وليسوا في دين الله تبارك وتعالى ... وهو التصور الصحيح للإسلام الذي يجب بناؤه في نفوس المخاطبين بهذا الدين، حتى ينطلقوا إلى إقامة دين الله بشموليته التي لا يقوم إلا بها، إذ لا تصح العبودية مُجزَّأة أو مُبعَّضة، وهي الصورة التي تكون الحاكمية فيها لغير الله، كما يريدها طواغيت العلم في هذا الزمان ويبغونها عوجا ويقولون كما قال أسلافهم: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء١٥١]، وعليه فارتفاع سلطان الله من الأرض دلالة على انتفاء العبودية الكاملة عند الأفراد لانتفاء الانقياد والاتباع لشِرعَة الله و المنهاج الربَّاني، واتخاذ الشركاء والأرباب في الطاعة والتلقي عنهم واتباع مناهجهم والخضوع لدينهم والانقياد لشرائعهم وقيام الجاهلية بأوضاعها وقيمها في الأرض، لذلك تواتر النقل عن الفقهاء حينما يتكلمون عن ضابط دار الكفر يجعلونه في علو الأحكام في الدار، فعلو الأحكام هو الذي يتميز به دار الإسلام من دار الكفر وهو الذي نعرف به الحاكمية لمن في الدار؟ هل هي لله أو لملوك الأرض، وحينئذ نعرف: هل المحكومين هم عباد لله أو عباد لملوك الأرض؟ فمن يكون له الحكم تكون له الطاعة والانقياد التي هي مدلول العبادة.

وبعد هذا الطرح نستطيع أن نجيب على السؤال المعقود لهذه الكلمة: لماذا يريدون إسقاط الحكم من الدين القيم؟ إنهم يسيرون على سنن أهل الكتاب في تقرير الديانة العلمانية على هذه البسيطة ... إنهم جماعات تتغذى من فتات الموائد الغربية لتقرير الإسلام المعدَّل حتى على الحركات المتطرفة ... إنهم يريدون أن يكفوا أيدي المسلمين من القتال للتمكين للدين القيم و إقامة الخلافة الإسلامية ... إنهم رؤوس مشبوهة مُكِّن لهم ليكفوا أيادي الأتباع عن منازعة الطواغيت في الحكم والعيش بينهم في أمن

وسلام والتحاكم إلى شرائعهم واتباع أوضاعهم ولا يضر ذلك دينهم الذي يدينون ... فيا ليت قومي يعلمون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين.



